

وثيقة ثورة 15 مايو

بقلم: موسى صبري

الأخبار: 11 مايو 1975 م

ثورة 15 مايو لم تكن وعوداً . لم تكن كلمات ملتهبة في خطاب ساخنة ، لا تلبث أن تذوب في صفيح النسيان ، لم تكن شعارات أو وعوداً لإستغلال عواطف الجماهير .. ثم يعود كل شيء إلى ما كان عليه .

ثورة 15 مايو كانت تغييراً حقيقياً في بناء المجتمع المصري ، بناء ديمقراطياً . يحترم كرامة الإنسان وحرية وأدميته . ويهيئ للشعب أن يحكم بالاختيار الحر .. وبالرقابة على حكامه .. في دولة المؤسسات . وتغيير الديمقراطية . من أصل يوناني "يموس أي الشعب " و (كرانوس أي الحكم) .. ويعنى حكم الشعب .. وتطور في العصر الحديث إلى نوعين من الديمقراطية .. الأولى وهي الغربية التي تفيد سلطات الدولة ، وتبيح الاقتصاد الحر . والثانية هي الشرقية التي تضع تحقيق العدالة الاجتماعية قبل تحقيق الحرية والمساواة السياسية . وتركز كل السلطة في الهيئة الحاكمة في المجال الاقتصادي .

وقد إختارنا طريقاً مختلفاً . منذ نشوب ثورة 23 يوليو .. عندما إقتضت سنوات الثورة الأولى ، تركيز كل السلطات في القوة الحاكمة .. ومنذ عام 1961 اتجهنا إلى الحل الاشتراكي في البناء الاقتصادي ، واحتفظنا بدستور أقرب إلى الديمقراطية الغربية .. ولكن مؤسساته خاضعة خضوعاً مباشراً لسلطات تنظيم سياسي واحد .. وأتاح هذا الوضع تركيز السلطات في أيدي أفراد محددين . أعطتهم القوانين الإستثنائية سلطات لا حدود لها ، بغير رقابة شعبية حقيقية كان يمكن أن يؤديها المجلس التشريعي أو الصحافة .. وإنتهى الأمر إلى إهدار تام للحرية الشخصية والحرية السياسية . وفقدت الديمقراطية الإجتماعية جدواها .. لأن السلطة كانت مهيمنة تماماً ، على لقمة الخبز وأرزاق الناس . وأصبح الإرهاب والقهر وحكم الفرد في كل موقع . هي ركيزة البناء السياسي .. ومن ثم إندثرت الديمقراطية السياسية تماماً.

وبإعلان ثورة 15 مايو ، التي أيدتها الجماهير بلا قهر . وبلا إخراج مسرحي . بل كان تعبيرها تلقائياً .. جاء الدستور الجديد . وثيقة لهذه الثورة ، وقرر أن رئيس الجمهورية لا يستطيع حل مجلس الشعب إلا باستفتاء شعبي ، وجاءت نصوصه كلها مقررة أولاً لتأصيل مبادئ الحرية والمساواة من جذور حياة الأسرية المصرية وتقاليدها ودينها . مسجلة هذه المبادئ بما يقطع الطريق تماماً . على العودة إلى حكم الفرد في أى موقع .

وإذا كان التحرك السياسي والاستعداد العسكري ، هما ركيزتي الإنطلاق إلى حرب أكتوبر التي حققت أول وأروع إنتصار مصري عربي في تاريخنا الحديث .. فان الركيزة الأولى .. للبناء السياسي الدولي لهذه الحرب . وللقوة العسكرية .. كانت أولاً وأخيراً .. هي ثورة 15 مايو لأن الشعب الحر . كان قادراً على مخاطبة العالم ، بمنطق حر يعبر عن سيادته واستقلاله ، بغير الاعتماد على وجود عسكري أجنبي تخلصنا منه بإرادة حرة .. كما أن المقاتل المصري . كان مقتنعاً بالإرادة الحرة ، أنه يدافع عن أرض يحكم شعبها القانون ، لا الفرد . هذا يفسر أيضاً أن الحكومة لم تضطر إلى اعتقال مواطن واحد ، قبل الحرب أو خلالها أو بعدها لتأمين الجبهة الداخلية . وهذا لم يحدث في أى بلد في العالم واجهت الحرب . وهذه نقطة التحول الثانية في حياة الشعب المصري بعد ثورة 15 مايو .

وكان لابد أن يتبلور كل هذا . في خطة عمل ، وتحديد مسار لبناء الدولة الديمقراطية. بحيث تتحقق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، بنظرة واعية متفتحة إلى متغيرات العصر وموازن القوى الجديدة التي تسيطر على التطور العالمي .. ثم يفكر يصل إلى آفاق طموحه ليرى مصر 15 مايو ، ومصر 6 أكتوبر حتى مشارف القرن الجديد ومن هنا جاءت وثيقة أكتوبر .

لقد كان الميثاق تعبيراً عن تفجير التطور الاجتماعي وإستنفذ أهدافه وكان بيان 30 مارس وعوداً بالديمقراطية السياسية ، بعد أن نزول آثار العدوان . وحققت ثورة 15 مايو هذه الوعود . وأضافت إليها - قبل المعركة . وكانت حرب أكتوبر ميلاداً

جديدا . عبرت عن كل نتائجه وأماله وطموحه .. ورقة أكتوبر هي وثيقتنا الثورية الجديدة ..

ومسئوليتنا جميعا ، هي الممارسة الإيجابية المسؤولة . فلا حرية بلا أحرار .. ولا بناء إلا بالعقول وسواعد الرجال . وقد بدأت الممارسة فعلا .. وطريقها طويل جيلا .. بعد جيل .

www.anwarsadat.org